بِسمِ اللهِ الرحْمَنِ الرحِيم

الرسالةُ السابِعَة:
هَذا تَأْويلُ رُؤْياي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقّاً

الحُمْدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ علَى رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ومن ولاَه. أما بَعْد:

فَيَقُولُ خادِمُ العِلْمِ وأهْلِهِ، والمُتَشَرِّفُ بِتَبْلِيغِهِ وحَمْلِهِ، أَبو الوليدِ خالِد؛ أَنْعَمَ اللهُ علَيهِ مِن دُرَرِ العِلْمِ بِكُلِّ طارِفٍ وتالِد: إِنَّهُ لَما كانَ أَوَاخِرُ الثُّلُثِ الأَوَّلِ مِن سَنَةِ (1420) وذلكَ قَبْلَ ما عُرِفَ بِأَحْداثِ (الحادِي عَشَرَ) بِنَحْوِ عامٍ ونِصْفِ عام؛ أَوَيْتُ إِلَى فِراشِي فِي دارِ الهِجْرَةِ المَيْمُونَةِ قَرِيرَ العَيْنِ مُغْتَبِطاً بِحالِ الإِمارَةِ الإِسْلامِيَّةِ هُناكَ!، فَرَأَيْتُنِي فَيما يَرَى النائِمُ أَقِفُ وسْطَ مَدِينَةٍ فَسِيحَةِ الأَرْجاءِ كَثِيرَةِ البِناءِ، غَيرَ أَنَّ الأَبْنِيةَ تَبْدُو عَتِيقَةً عَلَيْها آثارُ القِدَمِ، وجَمِيعُها مِن طَبَقَتَينِ أَوْ ثَلاثٍ لا تَزِيدُ؛ إِلاّ بِنايَةً واحِدَةً تَتَوَسَّطُ الأَبْنِيَةَ؛ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّها تَبْلُغُ نَحْوَ ثَلاثِينَ طَبَقَةً!، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَذه البِنايَةِ ولا أُحَوِّلُ عَنْها بَصَرِي إِعْجاباً بِها!، فَإِنِي لَواقِفٌ أَنْظُرُ إِلَيْها وأَرْجِعُ البصَرَ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّة؛ إِذْ وَقَعَتْ فِي البَلْدَةِ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ عَمَّتْ أَنْحاءَها؛ ورَأَيْتُ مَعَها الدُورَ الصغِيرَةَ تَسْقُطُ واحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَى!؛ ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى البِناءِ الكَبِيرِ يَسْقُطُ ويَمِيلُ مَيْلَةً واحِدَةً؛ حَتَّى رَأَيْتُ أساسَ البِناءِ يُنْزَعُ مِن الأَرْضِ نَزْعاً!!، فَوَقَعُ فِي نَفْسِي مِن ذلكَ خَوْفٌ شَدِيدٌ؛ وخَرَجْتُ مَعَهُ مِن المَدِينَةِ – وقَدْ جَعَلْتُها ورائِي مُسْتَدْبِراً لَها – أَعْدُوا هارِباً حاسِرَ الرّأْسِ حافِيَ القَدَمَينِ؛ وكُنْتُ أَجْرِي علَى طَرِيقٍ مِن التُرابِ ولا أَدْرِي إِلَى أَينَ!، لَكِنَّنِي ما أَنْ جَرَيْتُ خُطُواتٍ مَعْدُودَاتٍ حَتَّى رَأَيْتُنِي أَعْدُوا فِي طَرِيقٍ مُسْتَقْبِلَ المَدِينَةِ علَى عَكْسِ الأَولِ؛ ولَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ تَحَوَّلْتُ إِلَيهِ!؛ وكُنْتُ فِي هَذا الطريقِ علَى حالٍ خِلافَ التِي كُنْتُ علَيها لَما خَرَجْتُ مِنها خائِفاً أَتَرَقَّب، فَوَجَدْتُنِي مَعَمَّمَ الرّأْسِ؛ أَلْبَسُ ثِياباً جَدِيدَةً ونَعْلَيْنِ جَدِيدَينِ، ورَأَيْتُ الطريقَ الذي أَعْدُو فِيه إِلَى المَدِينَةِ عَرْضَهُ ثَلاثَةَ أَذْرُعٍ تَقْرِيباً؛ وقَدْ فُرِشَ بالبَلاطِ؛ وأُحاطَ بِهِ جِدارَانِ عالِيانِ مِن صَفائِحِ الحَدِيدِ إِلاّ أَنَّها خَضْراءُ اللَونِ!، ورَأَيتُ خَلْفِي رَجُلَينِ مِن الأَعْداءِ يُجْهِدانِ نَفْسَيْهِما علَى اللحاقِ بِي وهُما لا يَقْدِرانِ علَى ذلكَ؛ فَأَسْرَعْتُ الجَرْيَ وهُما وَرائِي وأنا أَسْمَعُ صَوتَ أَنْفاسِي وأَنْفاسَهُما حَشْوا تَرْبُوا شَيئاً بَعْدَ شَيءٍ؛ كما أَسْمَعُ صَوتَ قَدَمَيَّ وأَقْدامَهُما عَلَى الأَرْضِ، فَما كانَ إِلا أَنْ عَدَوتُ خُطُواتٍ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُنَّ مِن خَمْسٍ إِلَى سَبْعٍ! حَتّى اسْتَقْبَلَنِي بابٌ مِن مِصْراعَينِ؛ فَدَفَعْتُهُما وَوَلَجْتُ البابَ وأَغْلَقْتُهُ دُونَ العَدُوِّ ودَفَعْتُهُ بَيدَيَّ، فأَخَذا يُحاوِلانِ فَتْحَهُ فَما اسْتَطاعا إِلَى ذلكَ بِحَمْدِ اللهِ سَبِيلاً!، فَنَظَرْتُ خَلْفِي وأنا أَدْفَعُ البَابَ لأَنْظُرَ إِلَى أَينَ صِرْتُ، فَإِذا بِي قَدْ رَجَعْتُ إِلَى المَدِينَةِ التِي خَرَجْتُ مِنْها، ورَأَيتُها ولا أَثَرَ فِيها لما سَبَقَ مِن الدورِ والأَبْنِيةِ، إلا أَنّنِي رَأَيتُها مُنْبَسِطَةً علَى مَدِّ البَصَرِ مُتَرامِيَةَ الأَطْرافِ والنَّواحِي؛ قَدْ فُرِشَتْ أَرْضُها كُلُّها (بالإِسْمَنْتِ) والحجارَة؛ وأُحِيطَتْ أَطْرافُها بِجُدْرانٍ مَنِيعَةٍ صَلْبَةٍ تَتّصِلُ بِتِلْكَ الأَرْضِ وَتَرْتَفِعُ نَحْوَ قامَةٍ؛ كَما يُصْنَعُ فِي قَواعِدِ الأَبْنِيَةِ الكَبِيرَةِ العالِيَةِ، فَإِمّا وقَعَ فِي نَفْسِي؛ وإِما هَتَفَ بِي هاتِفٌ فقال: إِنَّ تَغَيُّراً عَظِيماً سَيَطْرَأُ علَى حالِ الإِمارَةِ هُناكَ!؛ وسَتُضْحِي مَعَهُ الإِمارَةُ أَشَدَّ رُكْنا وأَعْظَمَ رسُوخا و أَحْكَمَ بِناءً!.

فَلما كانَت صَبِيحَةُ تِلك الليلَةِ حَضَرَ لِزيارَتِي بَعْضُ التلامِذةِ؛ فَدارَ حَدِيثٌ طَويلٌ ذَكَرا فِيهِ بَعْضَ ما يَأخُذهُ الناسُ عَلَى الإمارَةِ مِن النَّقْصِ والقُصُور، وما يَرُوجُ بَينَ عامَّةِ الناسِ مِن الجَهْلِ والبِدَع، فأجَبْتُهما بَكَلامٍ طَويلٍ؛ وبَيّنْتُ لَهُما ما يجَبُ علَينا من دَعْوَةِ الناسِ والأمرِ بالمعُروفِ والنهْيِ عن المُنْكَرِ، وأنَّ حالَ المُسْلِمِينَ فِي الضيقِ لَيسَ كَحالِهِمْ السعَةِ، وبَشّرْتُهما خَيراً وقَصَصْتُ علَيهما الرؤيا التي رَأيتُ، وقلتُ لَهما: **هَذه بُشرَى بأنّ اللهَ تعالَى سَيُصلِحُ أحوالَ الناسِ والإمارَةِ في هذه البلادِ.**

وتَصَرَّمَتِ الأيامُ والشهُورِ، وَأُنْسيتُ رُؤْيايَ التِي رأَيتُ!، وكانَ قَدْ عَنَّ لَي كُلَّ سَبِيلٍ يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ وسِيلَةً لِصلاحِ الأحْوالِ إلاّ سَبِيلَ الابْتلاءِ والامْتِحانِ بِذاتِ الشوكَةِ وتَمْحِيصِ المُؤمِنينَ بِما وقَعَ مِنْ هَذه الحَرْبِ الصلِيبِيَّةِ، ولِلهِ عاقِبَةُ الأمور، ولَمْ أتَذكَّرِ الرؤْيا مِن بَعْدُ إلا حِينَ قامَتِ الحَرْبُ علَى قَدَمٍ وساقٍ، وانْقَسمَ الناسُ إلَى فُسْطاطَيْنِ، وانْحازُوا إلى المُعَسْكَرَينِ!؛ حِزْبِ اللهِ وأولِيائِهِ وأنْصارِهِ مِن المُجاهِدينَ ومَن والاهم؛ ومُعَسكَرِ الصلِيبِيّينَ ومَنْ أعانَهُمْ وناصَرَهُم، فَهُنالكَ قُلْتُ فِي نَفْسِي ولِمَنْ حَدَّثْتُهُ بِها مِن بَعْدُ: هَذا واللهِ تَأْوِيلِ رُؤْيايَ!؛ ثُمَّ أصْبَحْتُ لا تَمُرُّ بِي حادِثَةٌ أوْ يَقَعُ لِي أمْرٌ إلا ذكَرْتُ مَوْضِعَهُ مِن الرؤْيا شِبْراً بِشبْرٍ وذراعاً بِذِراعٍ، وجَرَتْ أمورٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ الآنَ شَرْحُها؛ لأنّها تَسْتَغْرِقُ حَوادِثَ سِنين، وكُلُّها مِما دلَّتِ الرؤْيا علَيه، فَإنْ فَسَحَ اللهُ تعالَى فِي الأجَلِ رَأيْتَ ذلكَ إن شاءَ سُبْحانَهُ في (الرِحْلَةِ الأنصارِيّةِ)؛ وهُو كِتابٌ مُعْجِبٌ لا تَجِدُ لَهُ فِي زَمانِنا نَظِيراً إن شاءَ اللهُ تعالَى، ولَعَمْرُ اللهِ إنّنِي لأشَدُّ فَرَحاً بِرُؤْيايَ هَذهِ – وهِي رُؤْيا حَقٍّ من اللهِ تعالَى إن شاءَ اللهُ تَحْقِيقاً لا تَعلِيقا – مِن الأُمِّ بِوَحِيدِها بَعْدَ طُولِ غِياب!، ونَحْنُ اليَوْمَ بِحَسْبِ ما وَقَعَ لِي مِنْها وبِحَسْبِ ما فَتَحَ اللهُ علَيَّ وعلَّمَنِي مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ فِي الخُطُواتِ الأخِيرَةِ دُونَ البابِ الذي عُدْتُ إلى المَدِينَةِ مِنْهُ؛ **وإغْلاقُ البابِ: هَزِيمَةُ العَدُوِّ ورَدُّهُ علَى أعْقابِهِ خاسِئاً وأنَّ اللهُ يَرُدُّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، والأساسُ الجَديدُ فِي أرْضِ المَدِينَةِ: تَمْكِينُ اللهِ للمُسْلِمِينَ وللإمارَةِ الإسلامِيَّةِ علَى أرْضِ أفْغانِستانَ ثانِيَةً، بِشارَةً لأهْلِ الإسلامِ، وإغاظَةً لِعَبَدَةِ الصُّلْبانِ والأوثانِ ولِمَنْ وَراءَهُمْ مِمَّنْ شَرَوْا دِينَهُمْ بَعَرَضٍ مِن الدنْيا قَلِيلٍ.**

ولا يَغِيبَنَّ عَن بالكَ أَنَّ الرؤْيا بُشْرَى مِن اللهِ تعالَى، وهِي جُزْءٌ مِن النُّبُوةِ علَى اخْتِلافٍ فِي عَدَدِ أجْزائها، وحَسْبُكَ مِن شأنِها أنّ اللهَ تعالَى ذكَرَ فِيها سُورَةً كامِلَةً هِي سُورَةُ يُوسُفَ علَيهِ السلام، كما ذكَرَ فِيها أنهُ سُبْحانَهُ امْتَنّ علَى يوسفَ صلَواتُ اللهِ وسلامُهُ علَيهِ بِتَعْلِيمِهِ تَأْوِيلَها، كَما آتَى العِلْمَ بِتأوِيلِها رَسُولَ اللهِ مُحَمَّدا صلَواتُ اللهُ وسلامُهُ علَيه.

وإنّما ذكَرتُ هَذه الرؤيا هُنا شَحْذا للهِمَم **وإيناساً** لأهْلِ الإسلامِ **وتَثْبِيتاً** لأهْلِ الغُرْبَةِ فِي الدينِ، **وإيحاشاً** لِعَدُوِّ الدينِ؛ **وإرْهاباً** لَهُ مَنْ سَطْوَةِ الإسلامِ وأهْلِهِ؛ كَما حَصلَ فِي وقْعَةِ الزلاّقَةِ الشهِيرَةِ التِي كانَتْ بَينَ يُوسفَ بن تاشْفِينَ رَحِمَهُ الله وبَينَ النصارَى الصلِيبِيِّينَ فِي الأنْدلُسِ، **وكانَ مَلكُ النصارَى قَدْ رَأى قَبلَ نُشوبِ الحَرْبِ رَجُلاً راكِباً فِيلاً وفِي يَدِهِ بُوقٌ يَنْفَخُ فِيهِ!، فَدَسَّ رَجُلاً إلَى بَعْضِ عُلَماءِ المُسْلِمينَ يَسألُ**

عَن تَعْبِيرِها؛ فقالَ لهُ من صَاحِبُ الرؤْيا؟. قالَ: أنا، قالَ: كَذبْتَ؛ ما يَنْبَغِي أن تَكُونَ هَذه لكَ، وإنَّما هِي لِمَلكٍ من المُلُوكِ!، وتأْوِيلُها: هَزِيمَتُهُ، وبَيانُ ذلكَ فِي قَولِهِ تعالَى {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ}، وفِي قَولِهِ فِي سُورَةِ المُدَّثِّر: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}!، فَلَما شاعَ خَبَرُ الرُّؤْيا اسْتَبْشَرَ بِها المُسْلِمُونَ وانْقَبَضَتْ لَها قُلُوبُ النصاري، وكانَ الفَتْحُ والنصْرُ لأَهْلِ الإسلامِ.

وهَكذا وَقَعَ أيْضاً فِي هَذه الحَوادِثِ، فَقَدْ كَثُرَتِ الرُّؤَى الصادِقَةُ إنْ شاءَ الله؛ مِما سَمِعْتُهُ مِن أَهْلِهِ، أو نُقِلَ لِي وحُدِّثْتُ بِهِ أوائلَ هَذه الحَوادِث، **وكُلُّهُ بِمَعْنَى الرؤْيا التِي رَأَيْتُها** وأَشَرْتُ إلَيها فِي صَدْرِ هَذه الرسالَة، **وقَدْ رَأَيْتُ بِفَضْلِ اللهِ وَحْدَهُ؛ وحُدِّثْتُ عَنْ مِثْلَ هَذا ما لا يَتَّسْعُ المَقامُ له،** وإنَّما ذكَرْتُ بَعْضَهُ هُنا تَحَدُّثا بِنِعْمَةِ اللهِ عزَّ وجَل، فقدْ ثَبَتَ عن النَّبِيِّ صلَواتُ اللهِ وسلامُهُ علَيهِ أن رُؤْيا المُؤمِنِ فِي آخِرِ الزمانِ لا تَكادُ تَكْذبُ!، وأنَّ أصْدَقَ الناسِ رُؤْيا أصْدَقُهُمْ حَديثاً!، وأَصْدَقُ النَاسِ هُمُ المُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللهِ، وقَدْ وصفَهُمُ اللهُ تعالَى بالصدْقِ فِي غَيرِ ما آيةٍ وشَهِدَ لَهُم بهِ؛ كما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ}، وذلكَ – واللهُ أَعْلَمُ – كما ذكَرَ بَعْضُ العُلَماءِ كالحافِظِ وغَيرِهِ؛ لِغُرْبَةِ المُسْلِم فِي آخِرِ الزَّمانِ وقِلَّةِ الأَنْصارِ والأَعْوانِ؛ فَجَعَلَ اللهُ تعالَى الرُّؤْيَا الصالِحَةَ تَثْبِيتاً للمُؤْمِنِ وعَوناً لَهُ علَى طاعِةِ رَبِّهِ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمين.

لكِن لا بُدَّ هُنا مِن التَّنْبِيهِ علَى جُمْلَةٍ من الأُمور:

الأول: أنَّ الرُّؤْيا لَيْسَتْ دَلِيلاً شَرْعِيّا يُرْجَعُ إلَيهِ فِي التَّفْرِيقِ بَينَ الحَقِّ والباطِل، فَإنَّ اللهَ تعالَى لَمْ يَجْعَلْ لِذلكَ إلاّ مِيزاناً واحِداً هُو الشرْع، وطَرِيقُ حُصُولِهِ العِلْمُ بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ صلّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ، وقَدْ يَكُونُ الرجُلُ صاحِبَ بِدْعَةٍ أو عاصِياً فاسِقاً فَيَرَى الرؤْيا فِي مَنامِهِ ولا تَكُونُ دَلِيلاً علَى أنَّهُ مُحِقٌّ فِيما هُوَ علَيهِ، لكِنَّ الجاهِلَ لا يَدْرِي ذلكَ!؛ فَتَرَى الأَشْياخَ مِن أَهْلِ البِدَعِ يُسَيْطِرُونَ علَى المُرِيدِينَ والأَتْباعِ بِمِثْلِ هَذا!، فإذا ذكَرْتَ لأَحَدَهِمْ أنّ ما يَصْنَعُهُ بِدْعَةٌ أو مُخالِفٌ للسُّنَّةِ؛ أجابَكَ بأَنَّ شَيْخَهُ رَأى فِي المَنامِ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ علَيهِ وسَلَّمَ أو فُلاناً مِن المَشايخِ أو مِن الصالِحِينَ يَأْمُرُهُ بِذلكَ!، أو يَحْكُمُ لَهُ بِصَوابِ ما يَصْنَعُهُ؛ ونَحْوُ هَذا!، وانْظُرْ فِي كُتُبِ التَعْبِيرِ تَرَ كَثِيراً مِن مُصَنِّفِيها ومَنْ يَنْقُلُونَ عَنْهُمْ فِي عِلْمِ التَعْبِيرِ مِن المُنْتَسِبِينَ إلَى البِدَعِ؛ كالنابُلْسِي صاحِبِ (تَعْطِيرِ الأنامِ) وغَيرِهِ، وإنّما يُعْتَبَرُ الرَّجُلُ بِدِينِهِ واتِّباعَهِ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، وبِتَقْواهُ للهِ تعالَى وامْتِثالِهِ لأَوامِرِهِ، فَمَنْ كانَتْ هَذهِ حالُهُ كانَتْ رُؤْياهُ رَبانِيَّةً صادِقَةً إن شاءَ اللهُ تعالَى، لأنّ صادِقَ الرؤْيا كَرامَةٌ مِن اللهِ تعالَى وهِي مِن عَلاماتِ الوِلايَةِ الرحْمانِيَّةِ، وبِهَذا تَعْرِفُ الفَرْقَ بَينَ هؤلاءِ وبَينَ أصحابِ الولايَةِ الشيطانِيةِ، كما ذكَرَ الشيخُ ابنُ تَيمَيَةَ فِي الفرْقانِ بينَ أولِياءِ الرحْمَنِ وأَوْلِياءِ الشيطان.

الثانِي: أنّ التواطُؤَ علَى الرُّؤْيا لا يَصَيِّرُها دَلِيلاً شَرْعِياً يُرْجَعُ إلَيه، والحَقُّ أنَّ الرُّؤْيا الصادِقَةَ لا يُمْكِنُ أنْ تَقَعَ مُخالِفَةً للشرْعِ، وما كانَ مِنْها علَى خِلافِ

الشرْعِ فَلَيسَ من الرؤْيا وإن تواطَأَ الناسُ علَيه، و ما وقَعَ مِنْ تواطُئِ أَصْحَابِ النّبِيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ علَى لَيلَةِ القَدْرِ فِي السبْعِ الأواخِرِ من رَمَضانَ - كما فِي حَدِيثِ الصحِيحَينِ – فَمِنْ هَذا البابِ، عَلَى أَنَّها كانَتْ بِإقْرارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ؛ فَتَنَبَّه.

الثالِث: أنّ شَأنَ الرُّؤْيا الصالِحَةِ الحَثُّ علَى العَمَلِ والسعْيِ؛ ورَفْعُ الهمَمِ للأَخْذِ بالأسْبابِ التِي أَمَرَ اللهُ تعالَى بِها، لا التواكُلُ والقعُودُ والتكاسُلُ!، كما وقَعَ لَعْبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما رَآى فِي مَنامِهِ الحَشْرَ والنارَ؛ فَقَصَّتْ حَفْصَةُ رُؤْيامُ علَى النّبِيِّ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ، فقال: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَيْلِ، فَكانَ عَبْدُ اللهِ لا يَتْرُكُ قِيامَ الليل، وهكَذا شَأنُ المُسْلِمِ مَعَ كُلِّ ما وَرَدَ مِن المُبَشِّراتِ، كأحادِيثِ الشفاعَةِ وخُرُوجِ المَهْدِيِّ ونُزُولِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ وغَيرِ ذلكَ، فإنّها لا تَزِيدُهُ إلا يَقِيناً وإقْبالاً علَى الطاعَةِ، لا كَحالِ مَنْ لُبِّسَ علَيْهِ فَجَعلَ ذلكَ ذرِيعَةً لِتَرْكِ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ! حَتّى ظَنَّ أَقْوامٌ أَنْ لا زَوالَ لِدَولَةِ اليَهُودِ عَن أَرْضِ فِلَسْطِينَ إلا بِنُزُولِ عِيسَى بنِ مَرْيمَ علَيهِ السلامُ ونُطْقِ الحَجَرِ والشجَرِ؛ فَعَطَّلُوا الجِهادَ وأَسْبابَهُ لِذلكَ!، مِما نَحْتاجُ إلَى بِيانِهِ مُفَصَّلاً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ إنْ شاءَ الله.

وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى فِي كِتابِهِ الكَرِيم: **{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}.**

فَدَلَّتْ هذهِ الآياتُ الكَرِيماتُ عَلى أنَّ فَوْزَ المُسْلِمينَ؛ لا لأَنَّ أمانِيَّهُمْ تَسْتَحِقُّ الفَوزَ!؛ بلْ لأنَّ أسْبابَ الفَوزِ والنجاةِ مَوفُورَةٌ فِي دِينِهِم الذِي ارْتَضاهُ اللهُ تعالَى لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وفِي مُخاطَبَةِ المُسْلمينَ بِذلكَ قَبلَ ذِكْرِ أَهْلِ الكِتابِ تَنْبِيهٌ عَلى ما يَنْبَغِي من تَفْويضِ جَميعِ الأمورِ إلى حُكمِ اللهِ تعالَى ووَعْدِهِ، وأنَّ ما كانَ خِلافَ حُكْمِهِ وَوَعْدِهِ لا يُعْتَدُّ بِه.
وسُنَنُ اللهِ تعالَى الكَونِيَّةُ القَدَرِيّةُ كأحكامِهِ الشرْعِيَّةِ لا تَتَغَيرُ ولا تَتَبدَّل، والأخْذُ بالمَقْدُورِ عَلَيهِ المَشْرُوعِ مِنْها تَوصُّلاً بِهِ إلَى ثِمارِهِ ونَتائِجِهِ أَصْلٌ ثابِتٌ وسُنَّةٌ لا تَتَخَلَّف، وقانُونٌ يَسْتَوي فِيهِ الأمَمُ والبَشر، لا مَحِيدَ لأحَدٍ عَنْه؛ ولا مَناصَ من الاحْتِكامِ إلَيهِ، ولا مُحاباةَ فِيهِ لأحَدٍ، ولا تَنْخَرِمُ قاعِدَتُهُ المُطَّرِدَةُ، وكُلُّ سَبَبٍ تَوَصَّلْتَ بِهِ الأمَمُ الكافِرَةُ إلَى القُوَّةِ وحَصُولِ الغَلَبَةِ؛ **ولا مُخالَفَةَ فِيهِ لِلشَّرْعِ بِوَجْهٍ من الوُجُوه**؛ فالمُسْلِمُونَ أوْلَى بِهِ، والسعْيُ فِي تَحْصِيلِهِ من فُروضِ الكِفاياتِ التِي لا يَسعُهُم تَركُها.

وقَدْ قالَ رَبُّنا سُبْحانَهُ: {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**، والذِينَ جاهُدُوا فِي اللهِ هُم المُؤْمِنُون، وهذَا الجِهادُ وإنْ كانَ هُوَ الصَّبْرَ عَلَى الفِتَنِ وَالأَذَى وَمُدَافَعَةَ كَيْدِ العَدُوِّ؛ إذْ لَمْ يَكُن جِهادُ القِتالِ قَدْ أُذِنَ بِهِ بَعْدُ عندَ نُزولِها؛ إلاَّ أنَّ العِبْرَةَ بِعُمُومِ اللفْظِ فَتَعُمُّ جَمِيعَ أَنواعِ الجِهادِ؛ كما تَتَناوَلُ الأَعْداءَ الظاهِرَةَ والباطِنَةَ،
والمُحْسنُونَ فِي هَذهِ الآيَةِ؛ قِيلَ: هُم المُوحِّدُونَ؛ قالَهُ ابنُ عباسٍ رَضيَ اللهُ عَنه، وقِيلَ: هُم المَجاهِدُونَ، وفِي هَذهِ الآياتِ ما يَزِيدُ الأَعْداءَ مَهانَةً وغَيظاً؛

فإنَّهُم لا يَزالُونَ يُنكِرونَ فَلاحَ المُؤمِنينَ وظَفَرَهُم، فكَذبَهُم سُبْحانَهُ وبَكَّتَهُم بِما وَعَدَ بِهِ المُؤمِنينَ مِن الهدايَةِ والتوفِيقِ إلَى سَبِيلِهِ هِدايَةَ علْمٍ وعَمَلٍ؛ وما ذكَرَهُ مِن مَعِيَّتِهِ لَهُم سُبْحانَهُ بلُطْفِهِ وعَونِهِ ونَصْرِهِ.
وَالإحْسانُ المذكُورُ فِي الآيَةِ يَشْمَلُ النياتِ والأَقْوالَ والأعْمالَ، قالَ السعْدِيُّ فِي التفْسير: دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ أَحْرَى النَّاسِ بِمُوَافَقَةِ الصَّوَابِ أَهْلُ الجِهَادِ، وحَكى الماوردِيُّ عن بَعْضِ العُلماءِ أَنَّ مَعْنَى **{لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}:** أَنَّ الذِينَ يَعْمَلُونَ بِما يَعْلَمُونَ يَهْدِيهمُ اللهُ لِما لا يَعْلَمُونَ**، وفِي هَذا ما يُحَفِّزُ الهِمَمَ ويَبْعَثُ العَزائِمَ إلَى بُلُوغِ أَقْصَى المَقْدُورِ مِن الأسْبابِ التِي تُوصِلُ إلَى أَشْرَفِ الغاياتِ، فَما عَلى المُسْلِمِ إلا أنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ ذلكَ، وهُو مَتَى فَعَلَ فاقَ الكافِرَ فِي هَذا وإنِ اسْتَويا فِي أَصْلِ التوصلِ للمُسَبَّباتِ بالأسْبابِ، لأنَّ للإيمانِ باللهِ تعالَى ولليَقِينِ بِوَعْدِهِ والتوكلِ عَلَيهِ مَدْخَلاً عَظِيماً فِي الدلالَةِ عَلَى الصحِيحِ من الأسبابِ كما دلَّتْ عَلَيهِ هَذهِ الآياتِ.**
وصلّى اللهُ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّمَ.

كانَ **اللهُ** له

أبو

الوليد الغزيُّ الأنصاريُّ